

## المحاضرة (٢٣)

### الاتجاه الانساني عن شعراء المهجر

في شعر المهجر كله، ظهرت نزعة إنسانية واضحة، تدعو إلى الأخوة والمحبة، والوحدة بين الناس، وترفض الظلم والكراهية والتفرقة. وربما تأصلت هذه النزعة لدى شعراء المهجر منذ أن رحلوا عن أوطانهم، وحلوا أرضهم الجديدة التي جابهوا فيها الصعاب، وشعروا بالمهانة، ووقفوا أسرى للحرمان، ولذلك لهجوا بحب الناس، ودعوا إلى الأثرة، ونادوا بالتسامح، وعشقوا الحب، وتحاملوا على الكراهية والحقد.

فهذا هو الشاعر ندره الحداد ينادي بكل هذه المثل الإنسانية: فيقول:

يا أخي الساعي لنيل المجد خفف عنك جمحك  
أنست لا ترضى سوى نفسك أن احزرت فتحك  
سر معي في الأرض، تنسى المال والجاه وطمحك  
أنا راض بالعصا يا أيها الحامل رمحك  
وسأرضى خبزك الأسود في الحب وملحك  
وسأنسى جرح قلبي كلما شاهدت جرحك  
وأرى ليلك ليلي وأرى صبحي صبحك  
وإذا اخطات نحوي فأنا الطالب صفحك

ويسخر أبو ماضي من انقسام المجتمع الانساني إلى فقراء وأغنياء، ويدعو إلى عطف

الإنسان على الإنسان.

ويدعو الشاعر القروي إلى الإحسان ويذم البخل ويمدح الجود والعطاء فيقول:

من حبة القمح اتخذ مثل الندى      يا من قبضت عن الندى يمانكا  
هي حبة اعطتك عشر سنابل      لتجود أنت بحبة لسواكا  
حلمت بأن ستعيش في خير القرى      فتراقصت للموت نحو رحاكا

والواقع أن شعراء المهجر عموماً قد دعوا في شعرهم (إلى نشر المبادئ السامية، والمثل العليا بين الناس، ومحاربة النظم التي تباعد بين الانسان واخيه الانسان، والعمل على خلق مجتمع إنساني يسوده العدل والرحمة والمحبة، وعلى تخفيف الشقاء الإنساني وتصوير الحياة بصورة محببة إلى النفوس، وهو المحبة الصحيحة لكل ما في الوجود بغير تفضيل أو تفریق).

وعلى الرغم من أن كل شعراء المهجر قد اجتمعوا على هذه الدعوة الإنسانية وضمونها قصائدهم، إلا إنها قد شكلت ظاهرة بارزة في ديواني (الخمائل) و(الجداول) لأبي ماضي وربما كانت قصيدة (أخي) لميخائيل نعيمة التي حملت الكثير من المعاني الإنسانية، خير دليل على

ما كانت تطفح به نفس الشاعر من قيم عليا ومثل إنسانية. وتمثلت هذه في إحدى قصائده التي ورد فيها قوله:

واجعل اللهم قلبي  
واحاة نسقي القريب والغريب

وكذلك في قول نعمة قازان:

ألا فاشربوا الوحي من جرتي  
ولا بأس أن تكسروا جرتي  
إذا كان فيها الحياة اشربوا  
ولا ترفعوها على صحتي

خير ما يؤكد سماحة نفسه وطيب قلبه.

وقد التفت بعض شعراء المهجر إلى المجتمع العربي ، فرأوا في حياته مادة ثرة لتجسيد النزعة الانسانية، فالمجتمع العربي في الشرق على الخصوص يمجج بالحركة التي تمد الشعر بالموضوعات الانسانية.

وقد التفت الشاعر زكي فنصل التفاتة ذكية إلى بعض هذه الصور التي تعكس حال الطبقة الكادحة، الذين (يتقصد جبينهم بالعرق، وتلهث حياتهم كدأً وتعباً، ويسهمون بأوفر نصيب في بناء الحياة الانسانية، كماسح الاحذية والبناء والعتال والمعلمة وبائعة الزهر، وغيرهم من المشتغلين بالمهن الشريفة النافعة. كما يقول الشاعر: فقد أحس بالآلام هذه الفئة الكادحة من البشر فحاول أن يصور حياتهما في شعره).

وجاءت قصيدته (بائع السوس) لتؤكد إحساسه بعمق التجربة الإنسانية، ويصدق إحساسه بها، إذ يقول:

حمل الشراب وطاف بالبشر  
يكفيه أن الشمس تجلده  
فإذا اتقى بالطفل لفحتها  
هاضت جناحيه الصعاب فلم  
ما دام في عرينه شمم  
يا لقمه بدمايه انغمست  
يا رب انقذه من الخطر  
ابداً باسواط من الشرر  
هببت عليه الريح من سقر  
يقعد، وناشته فلم يخر  
فلتعصف الالهوال ولتشر  
لم تتركني منه سوى اثر

وعلى هذا النحو تسير قصائده الأخرى مثل: بياع الجرائد، العاملة، الخباز ، الشرطي، الفلاح.

وهذه الموضوعات تذكرنا بموضوعات العقاد بديوانه (عابر سبيل) التي تظهر فيها الواقعية بكل ما تمتلك من صدق وحيوية ودقة، وهي قصائد تنتمي جميعاً مع ما ذكرنا من

قصائد زكي قنصل إلى هذه النزعة الانسانية التي تستمد من الإنسان الكادح مادتها التصويرية، لتؤكد ما يحس بها من صدق في العواطف، ونبيل في المشاعر وإحساس بالقيم البشرية والانسانية.

ومن المعاني التي تضمنتها هذه النزعة في شعر المهجر، الدعوة إلى الثورة على التقاليد الاجتماعية التي تحد من حركة الانسان وحرية وطاقته، فقد ثاروا على الاقطاع وعلى التفرقة الدينية والمذهبية، وحرصوا على الاستعمار، ونددوا بالحكم الظالمين، وأكدوا على حرية المرأة في العمل، وحرية في اختيار الزوج، ومطالبتها في المساواة بينها وبين الرجل في الحقوق والواجبات، وثاروا على الاوضاع المتوارثة التي تضعف من قيمتها وتقلل من شأنها.

ومن ذلك ايضاً دعوتهم إلى المحبة بين البشر وإلى الإخاء والتسامح والتعاطف والتعاون ووقفوا من مشكلة الفقر والغنى موقفاً رومانسياً، إذ لم ينادوا بالثورة على الاغنياء، بل استعطفوهم الرفق بالفقراء، وحملوا الطبيعة البشرية اسباب هذا الظلم.

ومن المعاني الانسانية التي دعوا إليها، تحمل الأذى والبغي، من أجل أن يسود مجتمع إنساني، تسوده المحبة، وتبنى أسسه على العطاء والخير، وربما كان لعمق المبادئ السامية المتمثلة بالقيم الروحية التي جبلوا عليها وتربوا على مبادئها، دور في هذه الدعوة المطلقة المفتوحة، التي تحمل فيها الشاعر المهجري كل ألوان الظلم والعسف في سبيل تأكيدها، والتي تبدو في قول جبران موجهاً حديثه إلى إخوانه البشر الذين ينزعون هذا المنزع.

يا من يعادينا وما ان لنا  
لوموا وسبوا والعنوا واسخروا  
وابغوا وجوروا وارحموا واصلبوا  
ذنب إليه غير أحلامنا  
وسادروا أيامنا بالخصام  
فالروح فينا جوهر لا يضام

وهي دعوة تتسلح بالمثل التي نادى بها الانجيل، والذي أشريت ارواحهم فيه.

وهذه الدعوة قد اكدت في شعرهم (منطلق السمو بالنفس والاستعلاء بها فوق احقاد الناس وكراهيتهم، وتجاوز كل افات الضعف البشري والانتصار عليها بالرضى والصبر والإيمان بالنفس وبكل قيم الحب والمودة والسلام).

ومن هنا تحقق في شعرهم (ظاهرة مشتركة تلقي ضوء على أحوالهم النفسية التي صدروا عنها في أشعارهم، طمأنينة عامة تسود حياتهم ورضى بما قسم لهم، وصبر على ما أنزلته بهم الأيام).

وتمثل قصيدة ميخائيل نعيمة (الطمأنينة) خير شاهد على تحقق هذه الظاهرة لدى شعراء المهجر وهذه الظاهرة - شيوع الطمأنينة- هي التي طبعت شعر أكثرهم بطابع التفاؤل والنظر إلى الحياة بالابتسامة والرضى والأمل والاستئثار.

وقصيدة ابي ماضي (فلسفة الحياة) خير ما يمثل النزعة التفاؤلية. وهي بلاشك تلتقي في أصولها العميقة بالمعاني الانسانية التي فطر عليها الإنسان في سلوكه وعلاقاته مع ابناء جنسه، لذلك فإن نزعة الرضى هذه تجسد روح الانسانية التي يجب أن تقوم عليها علاقات البشر مع بعضهم البعض الاخر.

ولابد من تليل لهذه النزعة الانسانية التي اتجه إليها شعراء المهجر، أهي حصيلة للأفكار الغربية والبيئة الأمريكية، وما يتصل بها من تقدم حضاري ووعي اجتماعي وتطور ادبي، أم أنها في أصلها اثر من آثار الرسالة الروحية التي حملها الإسلام وحملتها المسيحية في بيئاتهم المشرقية، والتي تأصلت في نفوسهم وصارت الموجه الأساس لعلاقاتهم وتفكيرهم وتصرفاتهم. أغلب الظن أن البيئة المهجرية الجديدة لم تحمل هذه البذور الانسانية التي انطبعت عليها نفوس هؤلاء الشعراء، لما تتضمنه من اعتداء بالمادة وحضارتها التي وجهت ولا تزال، سلوك الفرد والجماعة في الغرب والتي توجهت عنها كل أوجه النشاط الانساني وسعيه إلى المادية الصرفة، بعيداً عن المثل التي تنادي بها الأديان السماوية وقيمها الروحية. ناهيك عن أن الدين ، فقد وظيفته الحقيقية حين صوب الانسان نظره، إلى معطيات العلم، وفقد تلك القيم التي تنادي بها الاديان السماوية. لذلك نرى ان المعاني الانسانية التي احتشدت في شعر المهجر، تمتد إلى تلك القيم الروحية التي ظل الانسان المشرقي ولا يزال، يحملها ويعتد بها، ويصدر عنها في كل علاقاته وتصرفاته ومواقفه.

وربما يظهر هذا الأثر الروحي في ابيات (فرحات) التي يقول فيها:

وحدت أو أشركت ذنبك واحد	إن كنت بين الناس غير موحد
سكنوا مناطق جملة فتعددت	الوانهم والنوع لم يتعدد
فإذا حكمت على أمرئي لسواده	فلكد حكمت على حسام مغمد
فلرب قلب كالجماعة ابيض	للخمر يخفق تحت جلد اسود

وفي هذا النص فكر إسلامي يرى أن الناس سواسية، لا يختلفون لجنس أو لون وهو فكر يناقض واقع الحياة الأمريكية وعلاقاتها التي تفرق بين الأبيض والأسود. وربما كان في أبيات نذرة حداد التي استشهدنا بها في أول كلامنا على الإتجاه الإنساني، دعوة إلى النصح والتسامح والمحبة، وهي معان نادى بها الإسلام كما نادى بها المسيحية.

(وعاش المهجري في الغرب آخذاً نفسه بما انطبع عليه في المشرق من خلف: الازدراء للدنيا، والتواضع، وعدم الشكوى والقناعة، والانصراف عن النهم المادي، ومع ان الشاعر قد ألزم نفسه للحفاظ على هذه المبادئ، غير أنه لم يرتض لصغيره ذلك، فيما يتعلق بجمع المال، فتراه يوصيه بالجمع له، على ألا يغفل فضيلة العطاء كرمياً بالمال) .

وهكذا راح الشاعر (ندرة حداد) يخفف من غلواء المادية الغربية حين يوجهها بالقيم الروحية المشرقية السمحة التي نادى بها السماء، فقال مخاطباً ولده:

جئـت يا بنـي مثـلـمـا	والـدك المسـكـين جـاء
جئـت دنـيـا كـلـمـا	محـصـتـها ازددت ازدرء
وإذا ازددت بهـمـا	معرفـة زادت خفـاء
عـشـت بـيـن النـاس	لا أصـحـاب إلا الفـقـراء
لا أبـالي أن أكـلـت الصـبـح	مـا كـمـان عـشـاء
ولزـمـت الصـمـت لا	اشـكو همومـاً أو شـتـاء
وعـلى المـال وأهـل السـمـا	ل وليـت الأيـمـاء
هـكـذا عـشـت ولا	اطـلـب ان تحيـا اقـتـداء
اجمـع المـال إذا اسـتـطـعت	ولا تـنس العـطـاء
حسـب مـن يعـطـي ثـمـاء	النـاس أن رام الثـمـاء

ولو رحنا نعرض هذه المعاني على الكتب المقدسة لوجدناها تحتفل بها احتفالاً شديداً، وتحض على تطبيقها ليسود المجتمع الحب والاخاء والوحدة.

وهكذا راح شعراء المهجر يستنبطون المعاني والقيم من الكتب الدينية المقدسة، ومن تراثهم المشرقي الخالد، ويأخذون من مجتمعهم المشرقي وعاداته وأعرافه وقيمه ومثله، كل المعاني ويعتمدون أفكاره ليمثلوا بها شعرهم، ويضمنونها قصائدهم، حتى امتلأت ثراء فكرياً واحتشدت بالمعاني المبتكرة التي لم يألّفها الشعر الغربي، وإنما ألّفها من قبل، شعرنا في المشرق العربي عند مجموعة من الشعراء كالرصافي والزهاوي وحافظ ابراهيم وغيرهم.

المصادر:

- ١- أدب المهجر
- ٢- التجديد في شعر المهجر
- ٣- حركة التجديد الشعري في المهجر
- ٤- شعراء الرابطة القلمية
- ٥- أدب المهجر بين اصالة الشرق وفكر الغرب